

استجابة الدولة العثمانية لمطالبهما. فإذا كان ممكناً لرفيق العظم، ان يستمر حتى بداية الحرب بالمتابعة بضرورة الاصلاح في إطار الدولة العثمانية، على أساس احتفاظ الولايات العربية بحكم أقل مركزية، وان تأخذ الدولة بعين الاعتبار الخصوصيات الثقافية للجنس العربي، فإن المجزرة الرهيبة التي شكلت محكمتها في عالية، وراح ضحيتها عدد كبير من رموز وشخصيات الحركة القومية<sup>(١١١)</sup>، كانت كفيلة باطاحة ما تبقى من هذه الاوهام التي كانت تغذي بعض اصحاب هذه الدعوة. وهكذا، كان على كلا الحركتين ان تلتقيا مرة أخرى. ولكن هذه المرة ليس تحت مظلة الحفاظ على الدولة العثمانية، وانما تحت راية الثورة، ونزع المشروعية الايديولوجية التي تبرر بقاء حكمها وسيطرتها على المنطقة.

لقد امتزجت السلفية والقومية في صياغة توفيقية جديدة بداية لعلاقة من الصراع والتوتر، تركت بصماتها على التاريخ العربي الحديث.

لقد عكس البيان الأول الذي أصدره الشريف حسين، قائد الثورة العربية الكبرى، طابع هذا الامتزاج بين السلفية والقومية، على الصعيد الايديولوجي، لتبرير مشروعية الثورة. غير اننا يمكن ان نلاحظ ان هذه الثورة التي ضمت الي جانبيها معظم الشخصيات التي لعبت دوراً سابقاً في التحريض على المطالب القومية، وبرغم الملابس العديدة التي رافقت نشأتها، فانها عند ذكر الاسباب التي دعت إلى قيام الثورة، لم نجد بدأ من صياغة ذلك، صياغة سلفية، تشدد على مبررات دينية لاسقاط مشروعية الخلافة العثمانية<sup>(١١٢)</sup>. لكن هذا التشديد على الطابع السلفي الديني، لم يكن يعكس، في الواقع، المشروع الحقيقي الذي كانت تطمح إلى تحقيقه، أو قامت من أجله الثورة الكبرى. إذ ان التشديد على الطابع الايديولوجي الديني، كان يقتضيه حس براغماتي ما زال يرى الامة والشمولية التي تتمتع بها الايديولوجية السلفية، باعتبارها تنطوي على جواذب تجعلها قادرة على تحريك اوسع قدر من الرأي العام حولها، باعتبارها لا تمثل ايديولوجيا فنة، وانما تعبر عن وحدة الامة جمعاء<sup>(١١٣)</sup>.

وهكذا يمكن القول ان المبررات الايديولوجية التي طرحت في سياقها الثورة الكبرى، لم تكن، في الحقيقة، تعكس الطابع الفعلي للثورة التي كانت تمثل في حركة قومية تهدف، في الأساس، إلى تحقيق الاستقلال القومي عن الحكم العثماني. لكن هذا التزاوج في طرح مبررات ايديولوجية دينية لحركة قومية في اصولها، لا يجب النظر إليه ببساطة، ذلك انه يخفي في طياته، جذور الاشكالية التاريخية، التي سيجري فيها تاريخ العلاقة بين الحركتين، وهي الاشكالية التي ظلت تسم العلاقة بينهما بالحدة والتوتر.

لقد أدى الانهيار المبكر للمشروع السياسي الذي رفعتة الثورة العربية الكبرى إلى توجيه ضربة قاصمة للحركة القومية العربية وهي، بعد، في طور الحداثة<sup>(١١٤)</sup>؛ ولكن لنتطرق امامها، في ذات الوقت، عناصر تحد من نوع جديد، وذلك مع اقتسام الاستعمارين، البريطاني والفرنسي، الأجزاء العربية فيما بينهما. وعلى الرغم من الاختلاف الذي يمكن ان ينشأ في تفسير الانهيار المبكر الذي تعرضت له الحركة القومية، فاننا سنكتفي بالتطرق إلى بعض جوانب هذا الوضع الذي رافق انحسار الحركة القومية، دون الخوض في التفاصيل.

ان الملاحظة الأولى التي يمكن تسجيلها، هنا، بعد الحرب العالمية الأولى، هي انقراض عقد الحركة القومية، ونشئتها، ليس على مستوى الدول أو الكيانات السياسية التي انبثقت من تجزئة المنطقة، وانما على مستوى الحركات والتنظيمات السياسية ذاتها<sup>(١١٥)</sup>. لقد تجل